

صوتية القاف قديما وحديثا

أ. عبد القادر عيساوي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

بجامعة سيدي بلعباس (الجزائر).

ستتناول في هذا المقال صوتية القاف قديما وحديثا، من خلال تعريف حرف القاف، وبيان كيفية نطقه، وكتابه الصوتية العربية والدولية. ثم شرح مختلف وجوه النطق التي عرفها، سواء في القديم والحديث.

تعريف حرف القاف

يأتي حرف القاف في المرتبة التاسعة عشر (19) من الأبجدية، وفي المرتبة الحادية والعشرين (21) من الألفبائية العربية. ويقابل حرف القاف الرقم مئة (100) في حساب الجُمَّل، والرقم (C) في الأرقام الرومانية¹. ويُعتبر حرف القاف من الحروف القمرية وليس الشمسية، ومن الحروف المُعْجَمَة لا المهملة، ومن حروف القلقلَة والاستعلاء وليس الاستفال، ومن الحروف الشديدة لا الرخوة. ولفظة "قاف" تعني القوة¹. ومثل باقي الحروف العربية، يُجمَع حرف القاف بصيغة الجمع السالم، فيقال (قافات). وأيضا يُعدّ اسما مؤنثا، حيث يقال (القاف الفصيحة) و (القاف غير الفصيحة). ويُعتبر حرف القاف من الصوامت وليس من الحركات¹.

كيفية نطق القاف

القاف صوت هوي مهموس وذو وقفة انفجارية. ويحدث نطق صوت القاف برفع أقصى اللسان حتى يلتقي باللهة ويلتصق بها فيقف الهواء زمنا، ويُمنع مروره من الأنف، ثم يُطلق مجرى الهواء بخفض أقصى اللسان فجأة فيندفع الهواء محدثا صوتا انفجاريا. ولا يتذبذب الوتران الصوتيان حالة النطق به.¹

وكان يرى العرب في القديم أن مخرج القاف من أقصى الحنك، أي أنها حنكية قصية. بينما هي هوية في النطق المعاصر. ومرد هذا الاختلاف في موضع النطق أحد أمرين:

- عدم الدقة في تقدير موضع نطق القاف.
- قصد قاف أخرى غير القاف المنطوقة حاليا، والتي تُسمَع في كثير من العاميات العربية، وهو صوت حنكي قصي مجهور ذو وقفة انفجارية، وهي من حيز الغين والحاء. ولهذا الصوت أصل قديم، حيث نسبها ابن فارس إلى بني تميم في (الصاحبي: ص 25). ولا يخرج إطلاقا من اللهة صوت غير صوت القاف في العربية قديما وحديثا.¹

الكتابة الصوتية للقاف

يتجلى صوت القاف في الكتابة الصوتية العربية في الرمز (ق)، وفي الكتابة الصوتية الدولية (اللاتينية) في الرمز (q). بينما ذهب المستشرقون إلى استعمال رمز لا تيني آخر، هو الحرف اللاتيني k تحته نقطة، أي بهذا الشكل (ḳ).¹

ومن الأمثلة على ذلك نذكر أن: الكلمات العربية (قرآن، قریش، العراق)، يقابلها بالإنجليزية (quran, qurich, iraq).

وجوه نطق القاف

يمكن التمييز بين ستة (6) وجوه فيما يخص نطق القاف نذكرها على النحو التالي¹:

1- نطق القاف قافاً، أي القاف الفصيحة [ق ← ق] [q ← q]

يُعد هذا النطق هو الوجه الصحيح من بين سائر الوجوه المختلفة لنطق القاف، حيث هو النطق المعتمد والمستعمل في اللغة العربية الفصحى، وكذا تلاوة القرآن الكريم، ومختلف الشعائر التعبديّة في الإسلام (من أدعية وأذكار وغيرها). حيث أن لغة القرآن خصوصاً، والإسلام عموماً، هي اللغة العربية الفصحى.¹

لذلك نطلق على نطق هذه القاف تسمية (القاف الفصيحة)، تميزاً لها عن بقية وجوه نطق القاف، التي نسميها (القافات غير الفصيحة أو الدارجة). ونطق القاف بشكله الصحيح نجده في بعض الدارجات الجزائرية، مثل دارجة ولاية سكيكدة، وندرومة بتلمسان، وعدة مناطق بالعاصمة الجزائرية. فنطق القاف هذا هو المتبع في كل مكان وزمان من قِبَل قراء القرآن والفصحاء، وكذا في الأمور الرسمية، وبعض العاميات. وأيضاً هو المستعمل في كثير من برامج القنوات التلفزيونية والإذاعية، خصوصاً الأخبار.

2- نطق القاف كإفأ [ق ← ك] [q ← g]

يُنطق صوت القاف (ق) كإفأ (ك) في أغلب الدارجات على مستوى العالم العربي. وهذا النطق خطأً من الناحية الصوتية. وأيضاً يُعتبر النطق

المذكور أبرز وجوه نطق القاف في العاميات العربية. بل إن هناك ناسا، كبعض اليمنيين، ينطقون القاف كـ"غاف" حتى في تكلمهم بالعربية الفصحى، وتلاوتهم للقرآن الكريم، وأدائهم للشعائر التعبدية كالصلاة. وهذا خطأ صريح لا ريب فيه، كما قال بذلك الدكتور أيمن رشدي سويد¹.

ومن الأمثلة عليه نذكر أن الكلمات (قال، قريب، طاقة) تُنطق (كـ"قال، كـ"قريب، طاكئة)، أي بالـ"كاف (كـ) بدل القاف (ق).

ويتمثل الوصف العلمي لصوت الـ"كاف بأنه صوت حنكي - قصي مجهور ذو وقفة انفجارية.

وللعلم فإن الأستاذ الدكتور كمال بشر يميز بين رمزين اثنين، كما في عدة مواضع من كتابه (علم الأصوات). وهذان الرمزان هما:

- الحرف الكبير (G)، ويمثل لها بالصوت الذي يُنطق بدل القاف في كثير من العاميات العربية.

- الحرف الصغير (g)، ويمثل لها بالجيم القاهرية.¹

لكننا عند تتبعنا لوصفه للصوتين، نجد أنه يعطيها نفس الوصف: (صوت حنكي قصي مجهور ذو وقفة انفجارية).

وفيما يلي أمثلة من العاميات العربية عن نطق صوت الـ"كاف، حسب تعبيرنا، وصوتَي (G) و (g)، حسب تعبير كمال بشر:

- عامة العرب ينطقون (كـ"قال) بالـ"كاف بدل (قال) بالقاف.

- يقول كثير من اليمنيين (التـ"كوى) بالـ"كاف في مكان (التقوى) بالقاف.

- ينطق أغلب المصريين (كـ"واب) بالـ"كاف بدل (جواب) بالجيم.

- يلفظ بعض اليمينين (كـبـهـة) بالـكـاف عوض (جـبـهـة) بالجـيم.
فيبدو من هذه الأمثلة وجود نطق صوت واحد هو (الـكـاف) في
مقابل صوتي (القاف) و(الجيم).
وعليه نرى بأن هناك صوتا واحدا لا صوتين اثنين، وبالتالي يكون
الرمز واحدا، بالعربية (كـ)، وباللاتينية (g).

3- نطق القاف همزة [ق ← ء] [q ← ']

وأیضا يتخذ نطق القاف شكلا ثالثا يتمثل في همزة خالصة، في دارجات
الحواضر المصرية كالقاهرة، وبعض العواصم العربية، وكذا في الشام. مثل نطق
(القليل - الأليل، بمعنى ضد الكثير). وللعلم فإن "حَصْر" تلمسان¹ أيضا
ينطقون القاف همزة، فمثلا يقولون (آل، وِراة، آنون) بدل (قال، ورقة، قانون).
ويُروى بأن لهذا النطق (التهميز)¹ أصل قديم حسب ما قاله أبو
الطيب اللغوي (الإبدال: 2/ 561-562، طبعة دمشق، 1960).

ويصف علماء الأصوات صوت الهمزة بأنه صوت حنجري ذو وقفة
انفجارية. ويُرمز له في الكتابة الصوتية العربية بالشكل (ء)، وفي الكتابة الصوتية
اللاتينية الدولية بالشكل (')، أي فاصلة عليا مقلوبة.¹

4- نطق القاف كافاً [ق ← ك] [k ← q]

هناك شكل خامس لنطق القاف في دارجة منطقتي جيجل والغزوات
بالجزائر، حيث ينطق سكان المنطقتين المذكورتين القاف كافاً [ق ← ك]،
فيقولون مثلا (كهوة بدل قهوة). كما أن أغلب سكان الغرب الجزائري، في

دارجاتهم، ينطقون كلمة (قتل) والكلمات المشتقة منها بالكاف بدل القاف. فمثلا كلمة (قَتَلَ) ينطقونها (كَتَلَ)، وكلمة (مقتول) ينطقونها (مكتول). كما يلاحظ أن أبناء المهاجرين العرب إلى أوروبا وأمريكا خصوصا، ينطقون القاف كافا، متأثرين بلغات بلدان المهجر التي ليس فيها صوت القاف. فمثلا كلمات [قرآن، قال، قاسم] ينطقونها [كرآن، كال، كاسم]، بالكاف بدل القاف.

وهذا النطق معروف أيضا عن الأعاجم، الأوروبيين والأمريكيين خصوصا، عندما يتكلمون باللغة العربية. وعلميا يوصف نطق الكاف هذا بأنه صوت حنكي قصي مهموس ذو وقفة انفجارية.

5- نطق القاف غينا [ق ← غ] [q ← ġ]

يُنطق القاف غينا [ق ← غ] في دارجات مناطق سودانية وعراقية، فمثلا لفظة (قارورة) تُنطق (غارورة)، بالغين بدل القاف. وفي علم الأصوات، يُعرف صوت الغين بأنه صوت حنكي قصي احتكاكيٌّ مجهور.

6- نطق القاف خاء [ق ← خ] [q ← H]

يوجد كذلك شكل سادس لنطق القاف، أوردته الدكتورة شفيقة العلوي في مقال لها بعنوان "أهمية علم الأصوات في اكتساب اللغة"، حيث ذكرت بأن القاف يُنطق خاء¹. ومن الناحية الصوتية يُعتبر هذا النطق (الحاء) صوتا من أقصى الحنك احتكاكيا مهموسا.

مختصر وجوه نطق القاف

عرف نطق القاف، في القديم والحديث، ستة وجوه هي:

- 1- قاف (ق : q) صوت لهوي مهموس ذو وقفة انفجارية.
- 2- گاف (گ : g) صوت حنكي - قصي مجهور ذو وقفة انفجارية.
- 3- همزة (ء : ') صوت حنجري ذو وقفة انفجارية.
- 4- غين (غ : ġ) صوت حنكي قصي احتكاكي مجهور.¹
- 5- كاف (ك : k) الكاف صوت حنكي قصي مهموس ذو وقفة انفجارية.

- 6- خاء (خ : h) صوت من أقصى الحنك احتكاكي مهموس.
- ويبين الجدول الموالي الوجوه الستة لنطق القاف، قديما وحديثا، والتي سلف تفصيل الحديث عنها.

جدول الوجوه الستة لنطق القاف قديما وحديث

الرقم	التسمية	الكتابة والنطق الصوتيان		المثال غير الفصح [الفصح]	الوصف	أماكن النطق
		بالعربية	باللاتينية			
11	القاف الفصيحة	ق : قاف	q]qa:f[[قمر] صوت لهوي مهموس ذو وقفة انفجارية	في كل مكان من قبل قراء القرآن والفصحاء، وكذا في الأمور الرسمية، والتلفزات والإذاعات	
22	القافات غير الفصيحة أو الدارجة	ك : كـاف	g]ga:f[كـال [قال] صوت حنكي - قصي مجهور ذو وقفة انفجارية	في معظم العاميات العربية، وكذا لدى بعض الفصحاء في اليمن	
33	هـ : همزة	هـ	[hamz]a	وراءة [ورقة] صوت حنجري ذو وقفة انفجارية	في دارجات الحواضر المصرية كالقاهرة، وبعض العواصم العربية،	

	وفي الشام				
في دارجة منطقتي جيجل والغزوات بالجزائر خصوصا	صوت حنكي قصي مهموس ذو وقفة انفجارية	كهوة [قهوة]	K [ka:f]	ك : كاف	44
في دارجات مناطق سودانية وعراقية	صوت حنكي قصي احتكاكي مجهور	غارورة [قارورة]	g ayn g []	غ : غين	55
-	صوت من أقصى الحنك احتكاكي مهموس	-	ha:ʔ[H]	خ : خاء	66

الهوامش

¹ - تشكل الأرقام الرومانية في الأساس من سبعة (7) حروف من الألفبائية اللاتينية، هي:

I V X L C D M

وهذه الحروف السبعة تقابل على التوالي:

1 5 10 50 100 500 1000

ومن هذه الحروف يتم تشكيل أرقام وأعداد أخرى.

يُنظر كتابنا "الوجيز في اللغة العربية وعلومها"، م. س، ص 41-42.

¹ - لمزيد من التفصيل فيما يخص أصناف الحروف يُنظر كتابنا "الوجيز في اللغة العربية وعلومها"، ط. 1، مكتبة الرشاد، سيدي بلعباس (الجزائر)، 2010، ص 59-66.

¹ - يُنظر كتابنا الوجيز في اللغة العربية وعلومها، م. س، ص 80-84.

¹ - أ.د. كمال بشر. علم الأصوات، ط. 1، دار غريب، القاهرة، 2000، ص 278-283.

¹ - نفسه.

¹ - أنطوان الدحداح، مراجعة الدكتور جورج متري عبد المسيح، معجم قواعد اللغة العربية في جداول ولوحات زائد مسرد بالمصطلحات عربي - إنكليزي - فرنسي، ط 8، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1997، ص. م-2.

¹ - اقتبسنا هذه الوجوه من كتابنا المخطوط "الحروف العربية"، ص 39-48، نقلا عن مراجع مختلفة.

¹ - بل إن الشيخ ابن باز (1330 - 1420هـ / 1912 - 1999 م)، رحمه الله، مفتي السعودية السابق، يرى بأن اللغة العربية هي لغة أهل الجنة، ويؤكد وجود أدلة صحيحة تُؤيد ما ذهب إليه.

يُنظر كتابنا "الوجيز في اللغة العربية وعلومها"، م. س، ص 35-36،

¹ - استعملنا هذا الرمز العربي (گ)، رغم عدم استعماله في اللغة العربية، من أجل بيان المقصود من الصوت المحدد بدقة، وبغية عدم الخلط مع رموز الأصوات التي تشبهه، كالجيم الفصيحة (ج) مثلا. حيث درج العديد من الباحثين على التمييز للصوتين (گ) و (ج) برمز واحد هو الجيم الفصيحة، أو استعمال الرمز اللاتيني (g). ومن هؤلاء الباحثين الأستاذ الدكتور كمال أبو بشر في عدة مواضع من كتابه (علم الأصوات).

وهذا الرمز (گ) هو كاف فوقها خط مائل يوازي خطها العلوي. وهو مستعمل في بعض اللغات التي تُكتب بالحروف العربية، كالفارسية والأردية. ونحن نرجح استعمال هذا الرمز (گ) لصوت الگاف. بينما هناك من يستعمل رموزاً أخرى هي (ج، غ، غ، ق، ف، ك، گ). بينها بالتفصيل في كتابنا المخطوط "الحروف العربية"، ص 50 وما بعدها.

¹ - ورد كلام الدكتور أيمن رشدي سويد * في برنامج (كيف نقرأ القرآن) الذي تبثه أسبوعياً قناة اقرأ الفضائية.

* الدكتور أيمن رشدي سويد، أستاذ التجويد وعلم القراءات في جمعية تحفيظ القرآن بجدة (السعودية)، والضيف الدائم في برنامج (كيف نقرأ القرآن)، ومنشط برنامج (التلاوة الصحيحة)، الذان تبثهما كل أسبوع قناة اقرأ الفضائية. ويهتم هذان البرنامجان كثيراً بالجوانب الصوتية.

¹ - أ.د. كمال بشر، م.س، ص 278-283.

¹ - بعض سكان مدينة تلمسان ببلاد الجزائر يُسمون بالحُضْر.

¹ - تهميز: **Glottalization**، من الفعل (هَمَزَ) بمعنى نطق أو وضع همزة.

¹ - هناك رموز دولية أخرى للهمزة شرحناها في كتابنا "الوجيز في اللغة العربية وعلومها"، السابق ذكره، ص 80-84.

¹ - د. ش. فيقة العلوي. مقال: أهمية علم الأصوات في اكتساب اللغة. كتاب جامعة التكوين المتواصل - المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة (الجزائر): ميدان اللغة العربية وآدابها. السادس الثالث. السنة الثانية (ل.م.د : LMD). بدون طبعة. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. بدون تاريخ. ص 324-325.

لا نعرف أمثلة عن نطق القاف خاء، ولا عن أماكن حدوثه.

¹ - أ.د. كمال بشر. علم الأصوات، م.س، ص 285-286.